

## مقدمة

هذا الكتاب يتحدث عن الإسلام وقد صدر بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر. إن أحداث الحادي عشر من سبتمبر قد فتحت أمامنا عالمًا جديدًا من الفرص، وهذا على النقيض من الفكرة السائدة عن ذلك؛ إذ بدأ المسلمون في أنحاء العالم يتساءلون فيما بينهم ما الذي جعلنا نعيش على هامش التاريخ منذ زمن بعيد رغم أننا أصحاب الدين الخاتم؟ إن الأمم المتحضرة والمبدعة تجعل من أوقات المحن التي تمر بها لحظات مواتية لانطلاقها. هذا الكتاب منوط به أن يوجه دفة الأحداث إلى الاتجاه الصحيح.

منذ قرون والمسلمون معتادين على العيش في وهم الماضي. ما من شك في أن ماضينا كان ماضيًا ساطعًا، إلا أن تأثيره علينا يتسم بالدعة والخمول؛ ففي أثناء محاولتنا البائسة لاسترجاع المجد المفقود للأيام الخوالي، نقف دائمًا عند تمجيد الماضي ولا نتعدى ذلك. بل أصبح الماضي هو الملاذ الوحيد بالنسبة للكثير من بيننا.

في الصفحات التالية، أحاول عن عمدٍ أن أعلن ثورتي على هذا الملاذ التقليدي؛ وهو أن نفرط في إعجابنا بالماضي أو وصفه على أنه كان عالمًا بلا تحديات. يجب علينا أن نواجه الحقائق القاسية ليس فقط في حاضرنا بل في الماضي أيضًا. إذا واجهناها فإن هذا سيكون هو العامل الوحيد الذي سوف يساعدنا في التعلم من

أخطاء الماضي. إن ما يمثل الإسلام الخالص هو القرآن الكريم والثابت من سنة النبي محمد ﷺ، أما الجزء الباقي من الدين فهو مزيج بين الرسالة والتاريخ، والبحث عن السلوى والعزاء في الإسلام التاريخي كان ولا زال وسيبقى أمراً مشكلاً.

إن العودة إلى الإسلام في صورته الخالصة يتطلب منا أن نستبعد فهمنا البشري والنفاية الفكرية التي تكونت عبر رحلة طويلة استمرت لقرون عديدة. لكن هذا ليس بالأمر السهل؛ ففي الماضي فشل كثير من العلماء الذين كرسوا حياتهم لدراسة القرآن، بل وتركوا لنا أجزاءً كبيرة من التفاسير، أن يصلوا مباشرة إلى القرآن الكريم أو أن يقدموا قراءاتهم الخاصة عن النص القرآني. ولو أنهم كانوا ناجحين لما كان هناك ضرورة للاعتماد فقط على الفقهاء الكبار في الماضي أو الادعاء بلا خجل أننا أحناف أو شافعية. إننا نعرف جيداً أن الدين الإسلامي قد اكتمل خلال عهد النبي ﷺ وأن آراء الأربعة أو الخمسة فقهاء ليست وحيًا سماويًا، إلا أننا ننظر إليهم على أن مدارسهم هي الأركان المؤسسة للدين الإسلامي. إننا نفضل غالباً أن ندرك أن هؤلاء الفقهاء الكبار، رغم تبحرهم في العلم وتقواهم، كانوا في الأساس بشراً ربما يكونوا قد أخطؤوا في فهمهم للنصوص. إن تحية الأعباء الفكرية التي تتسم بها القرون الماضية هو المنهجية الوحيدة التي يمكن تطبيقها للوصول إلى هداية مستتيرة لعصرنا.

إن ظهور المدارس الفقهية بيننا قد أودى بنا إلى نوع من الدمار الكلي؛ فاليوم أصبح من الممكن لنا أن نُسقط الأنظمة الطاغية أو أن نفكك الإمبراطوريات العظيمة، ولكن عندما نريد خلق نظام بديل للأنظمة القائمة فسوف يكون من الصعب علينا أن نحدد أي المدارس الفقهية التي يجب أن نتبعها ونطبقها. هذا النزاع الداخلي هو السبب الرئيسي في أزممتنا التي تحتاج إلى التعامل معها في الحال وبنوع من الحرص.

قد يجد الشخص تكراراً لأفكار متشابهة في هذا الكتاب، ولكن هذا يأتي كنوع من الخيط الموحد بين عدة مقالات، حيث إن معظم المقالات كانت في الأساس مقالات افتتاحية في موقع فيوتشر إسلام دوت كوم. بل ربما يكون تكرار بعض

الأفكار عاملاً مساعداً في لفت انتباه القارئ. وعن عمدٍ، استبعدت من الكتاب الملاحظات والمراجع الأكاديمية حتى أجعل الكتاب أكثر متعة في القراءة، ومع ذلك احتفظت بالمناقشات الأكاديمية والافتباسات من أجل تقديمها للقارئ المحبين أكثر للبحث ولكتاباتي المستقبلية حول هذا الموضوع.

راشد شاز